فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله

يـــقـــدم

من سلسلة "رمضان قرب يلا نقرب 2"

قلب صائم

(باللهجة المصرية)

لفضيلة الشيخ: د. خالد الحداد

رابط المادة: http://way2allah.com/khotab-item-120334.htm

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، بينما أهل الجنة في نعيمهم ومتعهم إذ يقول الله –عز وجل– لهم: "إنَّ اللهَ يقول لأهل الجنَّةِ: يا أهلَ الجنَّةِ، فيقولون: لبَّيكَ وسعْدَيك، والخيرُ في يدَيْك، فيقول: هل رضِيتُمْ؟ فيقولون: وما لنا لا نرْضى يا ربِّ، وقد أعطَيْتَنا ما لم تُعْطِ أحدًا من خلقِك، فيقول: ألا أُعطِيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: يا ربِّ، وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك، فيقول: أُحِلُّ عليكم رِضواني، فلا أسخطُ عليكم بعده أبدًا" صحيح البخاري.

أهل الجنة يتنعمون ويتلذذون في متعهم وملذاتهم، يأكلون ويشربون ويتنعمون بالحور العين، ولكن أعظم النعيم ولذة اللذائذ هي لذة رضوان الله، لذة القرب من الله، لذة الأنس بالله، كذلك حال المؤمن في رمضان لما يُحرَم من لذات الأكل والشرب والشهوة، فيه لذة أعظم من كل اللذات هي لذة القرب والأنس بالله، لذة الدنوّ واستشعار القرب من الله –سبحانه وتعالى–.

كل الناس بيتقرب أو بيبعد عن ربنا كما قال الله: "لِمَن شَاء مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ" المدثر:37، إنت بطاعتك بقرآنك بصلاتك بصيامك يا بتقرب يا بتبعد، يا بَتقدم لله يا بَتأخر عن ربنا –سبحانه وتعالى–، طيب اللي بيتأخر بيتأخر ليه واللي بيبعد بيبعد ليه؟ ابن القيم –رحمه الله– يقول: "نظرت إلى تقدم الناس وتأخرهم فلم أرَ شيئًا إلا التوفيق، ولا أرى التوفيق إلا في محِلٍّ صالح" المحِلّ الصالح ده اللي هو القلب، القلب اللي بيصوم حقيقةً، لما بيصوم يعرف إن هو بيقدم قربان بصومه إلى الله..

مش واحد يقول لصاحبه أنا أعرف إمام بيخلص التراويح في نص ساعة، ويروح شغله زهقان وتعبان وعصبي محدش يكلمه أصله صايم!، وقبل المغرب كل خمس دقايق يبص في الساعة عايز يخلص من طاعته، الله –عز وجل– غنيٌّ عن طاعتنا ولم يخلق الخلق يتكثر بهم من قلة –سبحانه وتعالى–، ولا ليعتز بهم من ذِلة، ولا ليعينوه أبدًا، إنما هذه الطاعة لنا.

قال –عز وجل–:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" البقرة:183، والتقوى هاهنا –في القلب–، أوامر ربنا –سبحانه وتعالى– ليست تكاليف، لم يسمها الله –عز وجل– في القرآن تكاليف إنما أسماها روحًا ونورًا وضياءً وشفاءً وهدىً، حُب.

لما واحد بيخس مريض بيخس بيحرم نفسه من ألذ حاجة ألذ اللذائذ، لكن أسعد لحظة في حياته لما يقف على الميزان ويلاقي نفسه نازل 20 كيلو، تستاهل، أهو هو كده، الصيام لما يشهد العبد فقره بين يدي الله –عز وجل– ويعرف إن هوَّ عبد، الله أكبر كله يأكل، الله أكبر كله يصوم، عبد..

سيدنا عمر بن الخطاب طاف بالبيت فسمع رجلًا يقول: "اللهم اجعلني من الأقلين" فذهب إليه مستنكرًا قال ماذا تدعو؟! ما هؤلاء الأقلين؟ قال: يا أمير المؤمنين لقد سمعت ربي يقول: "وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ" هود:40، وهو يقول أيضًا: "وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ" سبأ:13، فأطرق عمر بن الخطاب وقال: كل الناس يعلم إلا أنت يا عمر.

لما يشهد العبد والقلب قبله الفقر بين يدي الله يعرج إلى السماء في معراجٍ من نور ليناجي ربه وحبيبه وقرة عينه، يناجي سيده ومولاه فيجود بطاعته وبلذته له لا لغيره، فإنه لا يُحَب على الحقيقة إلا الله، ولا يُحَب لِذاته إلا الله – سبحانه وتعالى–.

عتبة بن غزوان كان يقول: "إني وجدت راحتي بجوار من بيده حياتي"، لذة القلب ونعيمه وأنسه وسروره وفرحته فقط في القرب من الله –سبحانه وتعالى–، و"من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه" صحيح مسلم، ومن آوى إلى الله آواه الله، فالرب شكور الرب شكور..

أحد إخواننا أمه دخلت العناية المركزة والأطباء أخبروه إن هيّ هتموت وخرج هائمًا على وجهه فلم يدرِ ماذا يفعل، خرج وقف في بنزينة فلقى 3 قطط صغيرة تصرخ من الجوع ولم يجد ما يفعل، فذهب إلى السوبر ماركت وعلبة سلمون فتحها وحطهالهم ومشي، تاني يوم بيبص على أمه ملقهاش موجودة قالوله أمك ماتت! نزل التلاجة يدور عليها ملقهاش، طلع فوق فبيسأل عليها قالوله في الدور التالت، دخل عليها لقاها وشها زي القمر بل ومتحمسة إن هيّ تخرج معاه، فبيسألها فيه إيه؟

قالتله يا ابني زي ما أنا مفيش جديد كل ما هنالك إن أنا نمت لقيت قطة بتدعيلي، فشكر الله له فشفى أمه، الرب شكور.

هنا تنقشع غشاوة العين وتُفْتَح الأستار لترى هذه الأحرف التي تكاد تضيء، كلام الله –عز وجل–: "كلُّ عَمَلِ ابنِ آدمَ لَه إلَّا الصَّومَ ، فإنَّهُ لي وأَنا أجزي بِه..." صحيح البخاري، "فإنَّهُ لي" في زحمة الدنيا المعنى ده ممكن يسقط، في شواغل الدنيا القلب قد يضعف، القلب قد ينطفئ نوره، القلب قد ينقطع في الوصول إلى الله، لكن لما بيتخفف من ذنوبه في الصوم ويدنو من سيده ومولاه لا يسعه إلا أن يلهج طول الشهر وأن يقول قلبي ملك ربي وربي حبيب قلبي.

اللهم ردنا إليك مردًّا جميلًا وخذ بأيدينا ونواصينا إليك أخذ الكرام عليك، لا منجى ولا ملجأ منك إلا إليك.

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس في منتديات الطريق إلى الله وتفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36